

نادر شاه

ملك الافغان

نشرت جريدة « بتي باريزيان » بتاريخ ١٠ نوفمبر ١٩٣٣ مقالا للكاتب مدام أندري فيوليس الصحافية الاستطلاعية الشهيرة تحت هذا العنوان أحببنا أن نتحف به قراء (مجلة المغرب) وهو من ترجمة الكاتب القدير صاحب الامضاء وها هو المقال بنصه :

لقد اغتالوا نادر شاه ! خبر اغتياله لا يكاد يصدق ، وان كانت الاغتيالات السياسية من عوائد وتقاليد الافغان ، تلك البلاد الزاهرة ذات المآسي التي لا قيمة للحياة الانسانية فيها ، ومقتل الامير حبيب الله والد السلطان أمان الله لا زال عالقا بالاذهان ، قتله أحد الضباط بطلقة مسدس على فراش نومه أثر دسائس سرية لا زالت في طي الخفاء ، وربما لم يكن الضابط الا آلة في يد احد أقاربه ، وأمان الله نفسه لم ينج من الموت قسراً الا بركوبه متن الفرار والتجائه الى المنفى لأنه استعجل اقتحام شعب متأخر متعصب ميدان الرقي ، ولا زالت جولاته المظفرة بالاصقاع الاوربية عالقة بذكرة كل احد ، أما نادر شاه ذلك الرجل الدمث الاخلاق ، الورع ، حبيب العدالة ، العطوف على الانسانية ، الذي لم يكن يتهور في ادخال الاصلاحات التي لا مندوحة عنها لبلاده رغماً عن شغفه بالحضارة الغربية كل الشغف ، يقاتلونه ! يقاتلون رجلاً هذا شأنه ذاك ما نقضي معه بالعجب ، وتثور من أجله فينا العواطف !

ولم تمر على شرفي بمعرفتي اياه الا اربعة اعوام وبضعة اشهر ، حللت اذ ذاك بكابل عاصمة الافغان حيث وصلت بها بالمنطاد قبل يوم استقباله لي ببعض ايام ، دخلتها تحت الطلقات النارية بين شعب ابيض الثياب هائج مأجج وكاث الدخان لا زال يعلو اطلال القلعة الضخمة الكائنة في قلب المدينة المسماة « الارغ » اذ نسفها الثوار نسفاً كما أنهم نهبوا القصور الملكية والدور الخاصة والمفوضيات وعلى الاخص مفوضية فرنسا .

وقد التجأ باتشا ساقو ، ابن السقاء ، ذلك الباغي العنيف الى الفرار للجبال مع رفقائه بعد ما ترع مدة عشرة اشهر فوق عرش

وحرية الصحافة العربية التي لا ترسف في مثل نكولها صحافة على وجه الارض حتى انه بات من العسير على اي جريدة لا تتاجر في ضمير ولا تتساهل في مبدأ ان تعيش أكثر من شهر او شهرين ، وقد اهمل المسيو فيوليت هذه المسألة الخطيرة ولم يتعرض لها بتاتاً مع انه يعلم أكثر من سواه مقدار اهميتها وشدة حاجة الوطنيين الى حلها حلاً مرضياً يمكن الرأي العام الوطني من ان يظهر جلياً لا غبار عليه في حدود العدالة والقانون .

اما مشروع المسيو كيرنوت فعندنا انه اسم بلا مسمى لا ينيل الجزائريين شيئاً يذكر ولا يعود عليهم بأثر يحسن حالتهم ، وهناك من يذهبون الى انه مجرد مناورة يراد بها اخفاق مساعي المسيو فيوليت وتخليد مشروعه في طيات الملفات الوزارية ، وقد نشايح هؤلاء في رايعهم متى فكرنا في الظروف التي ولد فيها برنامج المسيو كيرنوت وفي الابهام الذي يتخلل فصوله وابوابه الطويلة التي تنوعت عباراتها واجتمعت في معنى واحد لا شيء من شيء طويل .

هذا مخدر ، وحياة ابيك ، ولكن هناك اعصاباً تائف التخدير (وكهاها منهم ما لقيت ...)

فؤاد

نعم ! تمنى أن تتبدل الاحوال في القطر الشقيق حتى لا يبقى للمكاتب البارع سبيل الى تسميته بـ (المستعمرة) ولعله لا يتأتى ذلك الا اذا حذفت الولاية العامة وصارت شؤون الجزائر بيد الحكومة المركزية كسائر المقاطعات الفرنسية الاخرى ، ولكن لا شيء نراه من الممكن ما دام اخواننا في تلك البلاد العزيزة على ما هم عليه الآن من الشقاق والافتراق .

قته من نهب وتدمير وخراب وشكر القبائل والجنود المحافظة على مراسيم الاخلاص ثم دعى الله الذي سمحت عنايته للامة الافغانية باسترجاع مقامها بين الامم .

فقام كثير من الخطباء طالين منه أن يستلم أعنة الامر في البلاد قائلين له ما معناه : « أنت الرجل الوحيد الذي يستطيع ان يحكم بلاد الافغان باعتبارها بلاداً اسلامية ومستقلة متحضرة والسير بها الى مراقي الرقي مع المحافظة على عتيق تقاليدها » فلاحق على وجه نادر شاه لوائح التأثير العميق وبعد صمت قليل اجاب بعدم قبول اقتراح الخطباء قائلاً : « اذا كنت قد قمت بواجبي فما كان ذلك عن حاجة في النفس انما بعثني عن القيام بذلك ارادتي تخلص بلادتي من العبي الذي أثقل كاهلها ومنذ زمان وصحتي في انحراف ، فأضرع اليكم في تعيين غيري رئيساً لكم » فضج الحضور بالاحتجاج من كل جانب وافترق الناس جموعاً حتى قام وزير تركيا المفوض وهو أقدم المفوضين الذين لم يغادروا كابول اذ ذاك واكد للغازي بانه لا يوجد أحد غيره جديراً بثقة العالم فيه وأعانه على ذلك قوم آخرون .

وبينما الامر كذلك اذا بضجة عظيمة سمعت في تلك الجماهير المحتشدة : وذلك أن قبائل المانكالية والوزيرية والافريدية والدورانية التي يتكوّن منها مجموع المحاربين في جنوب الافغان وفي شرقه يصيح افرادها ويهزّون اسلحتهم فوق رؤسهم ويصيحون . باعلى أصواتهم : « اذا لم يبايع نادر شاه سلطاناً علينا فاننا نذهب باجمعنا نائرين ! فكن سلطاناً لنا يا غازينا ، أقبل وكن سلطاناً لنا ! »

وكان لازال متردداً فعمدت تلك الجموع المستوحشة التي لا يمكن عدم الوقوف عند ارادتها تترامى على اطرافه تقبلها وحملته على الاكتاف وهو يتمايل من فوقها كانه من فوق بحر هائج ، وبعد ذلك تكلم من شرفة القصر ، وهو لازال تحت تأثير ذلك الضم الذي ضمه الشعب اليه ، وقد كسى ملامحه وقار ، تعلو رأسه عمامة رمادية اللون وتحفّ وجهه لحية أختلط فيها البياض بالسواد ، تكلم من شرفة القصر مطالاً على تلك الآلاف من الخلق المتهيجة ذات العمام المتباينة الألوان التي كاد يذهب بها حماسها كل مذهب كما يفعل النسيم في حقل رصعه الربيع بشقائق النعمان ! تكلم نادر شاه فقال :

ملكة هي من أقدم الممالك مسمى نفسه حبيب الله . وقد كان يقول متفلسفاً : « كنت سارقاً ، فاصبحت سلطاناً ، فاعلي ان جاءني الاجل ! »

وقد كان تقدّم لي ان تحدثت مع قائد الحرب المنتصر شاه والي خان الذي هو الآن وزير الافغان المفوض بباريس حيث صار محبوباً معروف القدر ، وقد حاصر كابول ودخلها عنوة ، وحكى لي كيف أقنع نادر خان أخاه الذي كان يقيم في مدينة نيس بفرنسا سعيدها هادئاً ، اقنعه بعد تردد طويل بلزوم القيام بواجبه نحو وطنه وتداخله في شؤنه والانتقام لشرف قومه ، واجلاء قاطع الطريق عن عرش الافغان الذي دنسه بتربعه فيه وصوّر لي كيف أقنع كذلك اخوانه بضرورة الحرب وبين لي الصعوبات التي طال أمدها في تلك الحرب المكلفة بالانتصار .

وقد دخل نادر شاه بعد ذلك بيومين (١٥ أكتوبر) لكابول دخول الفاتح على رأس جيوشه فرجعت انحاء المدينة صدى الابواق الرنانة التي كانت تغطي هرج الطبول الممل وبينها أصوات المدافع وطلقات البندقيات وهتاف جمهور كثير العدد يملأ الفضاء ويصعد الى عنان سماء زرقاء فضية ، في أول الموكب كنت ترى محاربين طويلي النجاد يتقدمون وهم يغنون ويرقصون على نغم طبول وحشي يحركون بندقياتهم ويهزّون بانتظام شعورهم الكثيفة وفي مؤخرهم بدى نادر شاه مستقيماً على جواد أبيض حريري الشعر ، عرفه وذنبه يتحركان في الهواء ، وقد كان مرتدياً بدلته الحربية معماً ومتسرولاً على زي الافغان وعليه سلهمام من الجلد أسمر اللون فزل عن متن فرسه حين وصل لباب القصر الملوكي المنهوب وتقدم الى قاعة العرش حيث كانوا قد أسرعوا الى اعداد بعض الكراسي ، فاحتشد رؤساء القبائل بين حيطان القصر العارية عن الزرابي والتصاوير التي كانت معلقة بها قبل نهبها وكان يخيل اليك وانت تسمع صدى هتافهم : ليحي المنتصر ! ليحي الغازي ! ان تلك القاعة ستنفجر . فأمنع الغازي النظر في تلك المئات من الوجوه التي كان يلوح على ملامحها الاعجاب والاعظام المولية انظارها نحوه وارسل يده في الهواء وفاء ببعض حمل كلها وقار وتأثر مهنئاً نفسه وشعبه بذلك الانتصار الذي غسل عن البلاد كثيراً من الغار وجعل حداً لما لا

« حيث أنكم قد اتفقت على بيعتي فلا أرى لي مندوحة عن قبولها ،
وإني أضرع إلى الله عز وجل بأن يمدني بقوة من عنده أتقوى
بها على تضحية نفسي في سبيل إعلاء كلمة الأفغان حتى لا يعلو مرآة
شرفه أدنى كلف » ثم سجد شكراً لله .

فدوت المدافع ، ودقت الطبول المهيولة ، وترددت في الهواء
اصوات المحاربين بما خامر قلوبهم من الفرح ، وكانت الساعة الثانية
بعد الزوال ، والشمس في أشد تلالها ، فاستوى نادر شاه قائماً ورمى
ببصره نحو جبال الهندكوش المتوجة بالثلوج والتي هي حصن من
حصون الأفغان وكانها على اكتافه احد يداب وغاب عن الابصار ...
ذلك الاحد يداب ، هو من ثقل ذلك العبء الذي قبل احتماله ،
والذي أذاقه الآن كأس الحماة ! ...

وقد تفضلت جلالتة بأقتبالي بعد تتويجه بيومين في قصر
« دلكوشة » (الحبيب إلى القلب) وكان من جملة القصور المنهوبة ،
وقد كنت على بصيرة من حياته التي هي كلها فخار وكنت أعلم أنه
تعلم بالبلاد الهندية في إحدى تلك الكليات الإسلامية التي يتخرج
منها رجال يضيفون إلى المشاركة في العلوم كريم السجاني كما كنت
أعلم أنه جال كثيراً في الاقطار الأوروبية ودرس أحوالها وقابلها
بغيرها وأنه يتقن اللغتين الانجليزية والفرنسية وكان في سنة
١٩١٩ قائداً للجيش الأفغانية التي كانت تحارب بريطانيا العظمى
تلك الحرب التي كان من نتائجها الاعتراف باستقلال الأفغان وقد
حاز من ذلك الحين شهرة واسعة ، وبعد ذلك عين وزيراً للحرب
إلى سنة ١٩٢٣ ولعل شهرته اذاعت أنذاك لبعضهم مراره الارق
خوفاً على مناصبهم فبعث سنة ١٩٢٤ سفيراً لبلاده في باريس ثم
لم يلبث أن استعفى واستوطن مدينة نيس حيث مكث هناك مغضوباً
عليه وإن لم يكن ذلك ظاهراً عليه حتى دقت ساعة حلول الكوارث
بوطنه فرجع إليه مسرعاً .

ولما وصلت لباب القصر ، وجدت الحرس قائماً بها ببذلتهم
العسكرية واقفين وقفة الدفاع مدججين بالسلاح كأنهم من فولاذ
وفي حدائق القصر عساكر غيرهم جالسون حلقاتاً حلقاتاً وفي آذانهم
باقات من زهر السوسان يغنون ويرقصون كأنهم سكارى .

وحين كنت بقاعة الاستقبال أمكنني أن أمعن النظر في ذات

الملك الذي أقبل علي من داخلها مصحوباً بأخيه شاه وإلى خان
عشى وراءه ، أمعنت النظر في قامته وما كانت عليه من ظرف
ورشاقة وفي مشيته الملوكية وناقته كسوته الافرنجية ، والذي أثر
في نفسي كثيراً هو ما كان يلوح على وجهه الجميل الذي تعلوه سمرة
من مخايل شجية وفي عينيه البعدين التي يخيل اليك من وراء
نظارتها أنها يحنان إلى وطن ما ، وفي رنة صوته الهادي العذب اذ قال
متنهداً : « ما عساه يكني من زمان ومن أيدي لبيقة لترميم ما أصاب
هذه البلاد من خراب في ما ديارها وروحانياتها » وأكد لي ثانياً
بلهجة ذات اخلاص يكاد يؤلم كونه لم يكن يشتهي أن يحمل عبئ
الملك الثقيل وزاد قائلاً : « أرجو من الله أن يعينني على القيام
بواجبي » وتغيرت رنة صوته إلى حنان وقال : « إن فرنسا بلادك
هي وطن لي بعد وطني ، قضيت بأرضها أخصب سني حياتي ولذلك
فإني أود أن تستمر في ازدهاد تلك السياسة سياسة التعاون الفكري
التي كونها السلطان أمان الله بين أمتينا » ثم أخذ يشرح لي نواياه
نحو بلاده فقال : « إن على عاتقي حملاً ثقيلاً ، يجب أن نبدأ قبل كل
شيء بإرجاع المياه إلى مجاريها وترميم الخراب مع المحافظة بكل قوانا
على استقلال البلاد ، ثم نأخذ في حمل سكانها على السير في طريق
الحضارة العصرية مع أعمال الجهود في عدم جرح ماله من عواطف
التقديس نحو معتقداتهم وعتيق تقاليدهم » وكان في عزمه أن يفتح
من جديد أبواب المدارس ويؤسس الكليات ويعبد السبل ويخطط
الخطوط الحديدية وينعش صنائع البلاد .

وقد تقدم لهذه الجريدة أن صوّرت لقرائها كيف أخذ نادر
شاه في اخراج هذه النوايا إلى حيز العمل بنشاط لا يعرف الملل
وكيف تمكن من المحافظة على ودّ ظاهري من الدول الأجنبية لبلاده
وكيف أمكنه أن لا يفقد التوازن — مع ما في ذلك من صعوبات —
بين جارتيه القويتين روسيا وبريطانيا العظمى .

وها أنا وقد مرت على ذلك الاستقبال أربع سنوات ، لا أزال
أتبين ما كان يلوح على ذلك الوجه من نبيل مؤثر في النفوس مع
مخائل شجي وحزم وعزم ، وقد خطت الحوادث خطين على صفحة
خديه الضعيفين ولا أزال أشعر بلطف ابتسامته وتحيته حين قام
من المجلس وذهب منحني الرأس بخطو بهدوء وصلابة ، كان نادر

على النهج الذي خطه والده نادر شاه، وإن يحمل - والكرامة
تصحبه - ذلك العبئ الثقيل الذي جعل على فتي عاتقه .

مدام أندري فيوليس

تعليق للمترجم : مدام أندري فيوليس من الكاتبات اللواتي
برعن في الصحافة الاستطلاعية أي في ذلك النوع من الصحافة
الذي يتطلب، زيادة على معرفة واسعة بكثير من المعلومات وبراعة
في فن الكتابة، استعداداً فطرياً للبحث والسؤال والتنقيب واحتمال
الاذى والشجاعة، لأن الصحفي الاستطلاعي يرمي بنفسه بين الاقطار
في البر والبحر شرقاً وغرباً، وقد أوتيت صاحبة هذا المقال من
ذلك كله حظاً وافراً امكناً ان تستطلع احوال كثير من البلاد
الشرقية والغربية وكتبها عن الصين واليابان والافغان وروسيا
وغير ذلك لازالت من المراجع التي يرجع اليها شاهدة بما لها من
الاقتدار على ذلك النوع من الصحافة المحفوف بالاعطال، وقد
اعتبرت لها ذلك كله لجنة اجازة جريدة « أوروبا » الجديدة حيث
انها منحتها اخيراً تلك الاجازة لما كتبتة عموماً ولكتابها عن
اليابان خصوصاً، وهي أول امرأة حازت جائزة من هذا القبيل،
وهي عازمة على العودة للشرق كما صرحت بذلك لاحدى محررات
جريدة « المرأة » في عددها الاخير الصادر في ١٨ نومبر ١٩٣٣ .

عبد الكبير الفاسي

شاه رجلاً غير مغتر بالحياة اذ أنه أمكنه بفضل ذكائه أن يسبر غور ما
في الملك من بهرجة كاذبة وما فيه من أذى ورغماً عن ذلك فإنه لم
يقصر في القيام بعمله بغير كلل الى آخر نفس من حياته تلك الحياة
التي ختمت الآن بعنف كما كان يتوقع ختامها .

فما عسى يكون تحت هذه المأساة من أسرار يا ترى؟ أهناك
دسائس خفية تكوّنت بين جدران القصر أو وراء اروقة الحرم
وستوره؟ أم تلك مؤامرة قام بها مناصرو السلطان أمان الله أو
بعض أفراد تلك القبائل القبلية التي كانت تهتف باسمه سابقاً وشقت
عصا الطاعة اخيراً؟ أهناك يد أجنبية خفية أم ذاك انما هو عمل
أحد المجانين كما يفهم من كلام مفوضية الافغان بباريس أدّى الى
ازهاق تلك الروح الشريفة؟ ذلك ما لا ريماسيبقى بين طيات الحفاء
اذ البلاطات الملوكية في الشرق ملؤها اسرار فوق اسرار .

وما علينا الآن في حل ذلك اللغز حيث أن ابنه محمد ظاهر
خان قد تمت له البيعة (وليس له من العمر الا عشرون سنة) وقد
قضى معظم عمره بالديار الافرنسية وتعلم بمدرسة ميشلي الثانوية ولم
يفارق أباه قط وقد شاركه في العمل في أواخر حياته جنباً لجنب،
فنحن متأكدون في أن نجد فيه صديقاً لا لبلادنا فحسب بل للثقافة
الغربية كلها، وهو على ما يقال، ذو ذكاء وعزم، فرجاؤنا أن لا
تقف في سبيله عقبات، وأن يدير دفة بلاده المبشرة بمستقبل زاهر



صورة اخذت اثناء مأدبة اقامتها جمعية الوكلاء العدليين بالرباط (التفصيل بالعدد المقبل)